العدول في أزمنة الأفعال – دراسة في كتاب معاني القرآن للفراء-

The retractation in the tenses of the verbs a study in the book meanings of the Quran for Al-Farae

د. فاطمة عويمر *

تاريخ الإرسال: 2020/08/20	تاريخ القبول: 19 / 10 / 2020	تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021

الملخص:

تتسم اللغة العربية بسمة المرونة، فهي تتيح للمتكلم ألوانا من التوسُّع والتصرُّف في البُنى الصرفية والنحوية، والعدولُ في صيغ الأفعال هو انزياحٌ عن زمن البنية الصرفية إلى زمن السياق، فقد يخرج الفعل عن الدلالة الصرفية المقيَّدة بالصيغة فيحمل دلالة زمن آخر تدلُّ عليها صيغة أخرى، كأن يدلَّ الماضي على المضارع أو العكس.

ونهدف من خلال هذا البحث إلى رصد تأمُّلات الفراء لظاهرة العدول في أزمنة الأفعال في القرآن الكريم، باعتباره من أوائل النحويين والمفسرين، وذلك سعيا منَّا لدحض مقولة من يدَّعي أنَّ النحاة الأوائل قد أهملوا دور السياق في تحديد الدلالة الزمنية للفعل.

الكلمات المفتاحية: العدول، الصيغة، الزمن، السياق، الفراء.

المؤلف المرسل: فاطمة عويمر faouimer25@gmail.com

* جامعة يحي فارس بالمدية faouimer25@gmail.com

Abstract:

Resilience is the criterion of the Arabic language, it allows speakers to expand and proceed widely in the morphological and syntactic structures The retractation and reversion of the verbs form is a shift from the time of the morphological structure to the time of the context, The verb may deviate from the morphological meaning restricted by the form and carry the connotation of another tense denoted by another form, for instance the past indicates the present tense or vice versa.

Through this research, we aim at monitoring and observing AL Farae reflections upon the phenomenon of recidivism in verb tenses in the Holy Quran as he is regarded as one of the first grammarians and exponents. For that, we attempt to refute the arguments of those who claim that early grammarians neglected the role of context in determining the temporal significance of the verb.

***Key words**: retractation, indication, time, context, Al-Farae.*

*** *** ***

مقدمة:

للزمن أهمية بالغة في تحديد القيمة الدلالية للفعل، إلى جانب دلالته على الحدث، وقد جرى في عرف النحويين أنَّ الزمن يرتبط بصيغة الفعل، وهو ينقسم تبعا لصيغته إلى ثلاثة أقسام: ما بُني لما مضى (الماضي)، وما بُني لما هو كائن لم ينقطع (المضارع)، وما بُني لما يكون ولم يقع (الأمر)، وهذا التحديد الزمني ليس قانونا ثابتا في الاستعمال اللغوي، لأنَّ الاستعمال يخضع لمقاصد المتكلم وأحواله والمقام الذي يكون فيه، فالمتكلم قد تدعوه الحاجة إلى الخروج عمَّا هو مألوف، ولا يعدُّ ذلك الخروج ضعفا في التعبير، ولا تناقضا مع مقصدية المتكلم، بل هو لونٌ من ألوان التوسُّع وفنٌ من فنون التعبير التي تعتمد على توظيف القرائن المُعينة على جلاء المعنى.

ويعدُّ النصُّ القرآني أرقى النصوص العربية فصاحة وبلاغة، وأكثرها عدولا عن الأنماط اللغوية، والعدولُ من سمات التميُّز والسمُو، فلا يوصف الكلام بأنَّه بليغ إلا إذا سما فوق لغة التواصل العادية وتميَّز بلغة متفرِّدة شجاعة –بتعبير ابن جني- لا تخضع للقوالب الجاهزة وإنَّما تتخذ من الجمال معيارا لها، ومن هنا كان العدول عن المألوف أسمى أساليب البلاغة، وهو يرد بأساليب كثيرة ويكون في الحروف والأفعال والأسماء

والجمل، وقد اهتم المفسرون والبلاغيون بإبراز أشكال العدول في المفردات والتراكيب القرآنية، وتذوُّق جمالياته والوقوف على أسراره الفنية، ومن المعلوم أنَّ التفسير اللغوي لمفردات القرآن الكريم قد طغى على التفاسير الأولى كمجاز القرآن لأبي عبيدة وكتب معاني القرآن، ولم تكن البلاغة آنذاك تحظى باهتمام كبير من قبل المفسرين، ومن أوائل المفسرين أبو زكريا الفراء من نحاة الكوفة، وعلى الرغم من أنَّه صنَّف كتابه معاني القرآن في فترة متقدمة جدا، إلا أنَّه عالج الكثير من النصوص القرآنية معالجة بلاغية سياقية متجاوزا حدود المقاييس النحوية، وقد تفطَّن إلى أنَّ زمن الفعل في العربية غير مقيَّد بالبنية الصرفية، بل يمكن أن نستشِفَّه من خلال السياق والمعنى، وسنحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف عند مظاهر تمثُّلِ الفراء لظاهرة العدول الصرفي في الأفعال، فكيف كانت نظرته إلى الظاهرة؟ وما هي أنماط العدول الفعلي التي استقاها من النصوص القرآنية؟

وتقتضي المنهجية أن نستهل ورقتنا هذه بالحديث عن مفهوم العدول من منظور البلاغة وأشكال العدول في صيغ الأفعال، ثم الحديث عن وقفات الفراء مع الظاهرة.

2.العدول في البلاغة العربية:

1.2 مفهوم العدول:

العدول لغة: يرد العدول في اللغة بمعان متقاربة الدلالة، وهي الميل والخروج والانعراج والانحراف، والانصراف والمنع، وهو مشتق من الفعل عدَل المصاحب لحرف الجر "عن"، «يقال: عدل عن الشيء عَدْلا وعُدولا أي حاد، وعن الطريق جارَ، وما لَهُ معدِلٌ ولا معدولٌ: أي مَصرِف ... وفي الحديث: لا تُعدَل سارِحتُكم أي لا تُصرَفُ ماشِيتكم وتُمالُ عن المرعى وتُمنع»[1].

ويرتبط لفظ العدول بحركة انتقال بين شيئين اثنين: معدولٍ عنه ومعدولٍ إليه، ويتحدَّد معنى العدول من خلال قرينة لفظية وهي حرفا الجر "عن" و"إلى"، فعدلَ عن الشيء تركَه وحاد عنه، وعدل إلى الشيء: اختاره وطلبه ورجع إليه، وهذه الحركية هي التي يتأسَّس عليها أسلوب العدول في اللغة العربية.

العدول اصطلاحا:

عالج البلاغيون العرب أسلوب العدول ضمن أبواب علم المعاني، وعبَّروا عنه بمسميَّات كثيرة منها "مخالفة مقتضى الظاهر و"النقل" و"المجاز" و"الصرف" و"الانصراف" و"الخروج" و"الانحراف" والالتفات و"نقض العادة" [2]، وتتفق هذه المرادفات مع العدول في مؤدَّاها، من حيث كونها تمثل انحرافا عن المألوف، ومبناها الانتقالُ من شيءٍ إلى شيء آخر مخالفٍ له.

وعبَّر المحدثون عن العدول بمصطلحات عديدة منها: "الانحراف"، "الانزياح"، "الاختلال" ، "الانتهاك"، "التجاوز" ، "المخالفة"، "الانتهاك"، "خرق السنن" و"التحريف"[3].

والعدول عموما معناه الانتقال من أسلوبٍ في الكلام إلى أسلوب مخالف له[4]، وهذه المخالفة تكون لاعتبار وباعث معنوي يجده المتكلم في نفسه، استنادا إلى أحواله والمقام الذي يكون فيه، وقد يكون الداعي إلى هذا العدول لفتة بلاغية يبتغي المتكلم من ورائها تطريز كلامه وتزيينه بتحوُّلات جمالية تجذب إليها المتلقي، يقول ابن الأثير: «العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلى لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارفُ برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما وفتَّش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كلِّ كلام، فإنَّه من أشكال ضروب البيان، وأدقِّها فهما وأغمضها طريقا»[5]. ولا شكَّ في أنَّ التحوُّل من صيغة إلى أخرى وإخراج الأسلوب على غير ما يقتضيه ظاهرُه لا يتأتَّى إلا لبليغ يعرف كيف يتصرَّف في أضرب الكلام، ويُضفي على الألفاظ معانٍ غير معانيها المقتضية لها في أصل وضعها، فيرتقي بلغته إلى منزلة اللغة الفنية العالية.

والحديث عن العدول في الأفعال يقودنا إلى الحديث عن تقسيم النحاة للزمن، وسنكتفي بما ذكره سيبويه، حيث قال: «أمَّا الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، ولما هو كائن لم ينقطع»[6]، فالماضي هو ما بُني لما مضى من الزمان، والمضارع ما هو كائنٌ لم ينقطع؛ ذلك أنه يدل على زمنين هما الحاضر والمستقبل، وأمَّا الأمر فما يكون ولم يقع بعدُ ويدل على المستقبل، وهذه الدلالات الزمنية هي الأصل في النظام اللغوي وترتبط بصيغ صرفية محدَّدة، فالماضي يرتبط بصيغة "فعل"، والحاضر بصيغة "يفعل" ويرتبط المستقبل بصيغتين وهما "يفعل" و"افعل"، وهذا هو المتعارف عليه عند النحويين، لكنه يمثل أصل القاعدة خارجَ

إطار الاستعمال اللغوي، ولكن قد توضع إحدى الصيغ موضع الأخرى، فتخرج بذلك عن أصل وضعها، ويكون لها زمنٌ آخر وهو الزمن النحوي أو الزمن السياقي، وهذا مناطُ البحث عند البلاغيين.

والعدول خطابٌ إبداعي يقوم به المتكلم، فهو يتصرَّف في صياغاته وفقا لمقتضيات العملية الإبلاغية، وقوانينُ الاستعمال اللغوي «تُرضِخُ عناصرَ اللغة إلى تفاعل عضويٍ بموجبه تنزاح الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية، فضلا عمَّا تُدخله القنوات البلاغية من مجازات ليست في منظور اللغوي إلا انحرافات عن المعاني الوضعية الأولى»[7]، ولمَّا كانت الأزمنة في النظام اللغوي محدَّدة بصيغ صرفية وكانت المقاصد الإبلاغية واللمسات البلاغية والإيحائية غير محدَّدة احتاج المخاطِب إلى كسر القيود النمطية المتمثلة في الدلالات الزمنية الوضعية التي تقتضيها الصيغ الصرفية، ولأنَّ اللغة العربية تمتلك قدرات إبداعية فائقة وتلوينات تركيبية تنأى عن الحصر فقد أتاحت للمتكلم أن ينزع عن الصيغة الصرفية دلالتها الزمنية الوضعية ويُلبسها دلالة زمنية أخرى تتداخل في تحديدها مجموعة من العلاقات السياقية اللفظية والمعنوية.

وقد عاب بعض المحدثين على النحاة القدامى نظرتَهم إلى زمن الفعل نظرةً صرفية بحتة بمعزل عن السياق، ومن أوائل هؤلاء تمام حسان إذ يقول: «وحين نظر النحاة في معنى الزمن في اللغة العربية كان من السهل عليهم أن يحدِّدوا الزمن الصرفي من أول وهلة فقسَّموا الأفعال بحسبه إلى ماض ومضارع وأمر، ثم جعلوا هذه الدلالات الزمنية نظاما زمنيا وفرضوا تطبيقها على زمن الأفعال في السياق ... والخلاصة أنَّ النحاة لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي، إذ كان عليهم أن يدركوا الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق»[8].

ويرى كمال رشيد أنَّ النحاة لم يفرِّقوا بين الزمن الصرفي والزمن النحوي وأنَّ التقسيم الثلاثي للفعل جاء لتغطية أبعاد الزمان الفلسفي: الماضي والحاضر والمستقبل[9]، وهذا الطرح ينبني على أنَّ النحاة انطلقوا في تقسيم الزمن في العربية من التقسيم الفلسفي الوجودي أي التقسيم العقلي الذي يقتضي ثلاثة أزمنة في الوجود: الماضي والحاضر والمستقبل.

ومن الطاعنين في المنهج النحوي مهدي المخزومي، حيث أصدر على النحاة حكما شبيها بحكم كمال رشيد، ورأى أنَّ النحاة لم يدركوا أنَّ الفعل في العربية يتجاوز حدود الزمن الفلسفي (ماض/ حاضر/ مستقبل)، ويكتسب دلالات من السياقات المختلفة، وهذا ما جعله يستنتج أنَّ عمل النحاة بعيد عن طبيعة اللغة[10].

وهذا الزعم يفضي بنا إلى القول بأنَّ نظرة النحاة كانت قاصرة، فقد درسوا نظام اللغة بحسب ما يقتضيه المنهج، وليس ما يقتضيه الاستعمال اللغوي، فالزمن بالنسبة لهم هو الزمن الصرفي أو زمن الصيغة المفردة، وأمَّا الزمن النحوي أو السياقي فكان خافيا عنهم، والحقُّ أنَّ النحاة لم يُعنَوا بدراسة الزمن بأبعاده السياقية والبلاغية كما فعل البلاغيون والنقاد، ومردُّ ذلك إلى كون دراستهم انصبَّت على لغة التواصل وليس اللغة الأدبية الإبداعية، فاهتمامهم الأول هو وضع قواعد للمتكلمين العرب، وليس قواعد للشعراء والخطباء، ولهذا لم يُعنوا كثيرا بالتحولات الزمنية في الصيغة الصرفية الناتجة عن أغراض بلاغية لا يدركها إلا من فقِه فنون التعبير وفنيَّاته، إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّهم لم يلاحظوا أنَّ زمن الصيغة قد يمتدُّ ليحمل شحنات دلالية أخرى تُكتسب من العلاقات داخل التركيب، وقد كانت لهم إشارات كثيرة نذكر منها ما يلي:

يقول سيبويه : «وقد تقع "نفعل" في موضع "فعلنا" في بعض المواضع، ومثل ذلك قوله لرجل من بني سَلول مولَّد:

ولقدْ أمُرُّ على اللئيم يسُبُّني فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني

واعلم أنَّ "أسيرُ" بمنزلة "سرتُ" إذا أردت بأسير معنى سرت»[11]، وفي هذا القول تصريح واضح من سيبويه بأنَّ صيغة المضارع قد تدل على الزمن الماضي، والبيت الشعري الذي ساقه سيبويه دليلٌ على ملاحظته للعدول، فقد عبَّر الشاعر بالمضارع في قوله "أمرُّ" والمعنى "مررت"، وقد جعله ابن جني من باب حكاية الماضي بالمضارع[12].

ونبَّه ابن الشجري -من نحاة بغداد- إلى العدول في صيغ الأفعال وجعله من التوسُّع في الكلام إذا أمِن اللبس، فقال: «ووجهُ استجازتهم هذا الإبدال مع تضادِّ الأفعال أنَّ الأفعال جنس واحد، وإنَّما خُولف بين صيغها، لتدلَّ كلُّ صيغة على زمان غير الذي تدلُّ عليه الأخرى، وإذا تضمَّن معنىً يزيح الإلباسَ جاز وضعُ بعضِها في موضع بعض توسُّعا»[13].

والإشارات التي قدمها النحوية كثيرة ولا يتسِّع هذا المقام لذكرها، وستكون لنا وقفة مطولة مع الفراء وهو من أوائل النحويين المؤسسين لصرح النحو العربي، وسنثبت أنَّ الزمن السياقي لم يكن غائبا عن ذهنه تماما كما لم يكن غائبا عن ذهن النحاة في زمانه ومن بعده، ثم كيف يغيب عنهم أمرٌ كهذا وهم أهل الفصاحة والبلاغة؟

2.2 . أشكال العدول عند البلاغيين:

يتخذ العدول في أبنية الأفعال عند البلاغيين العرب عدة أشكال وهي:

2.2 . 1. العدول عن الماضي إلى المضارع (الإخبار بالمضارع عن الماضي):

وضَّح ابن الأثير القيمة البلاغية لهذا اللون من العدول فقال: «اعلم أنَّ الفعل المستقبل إذا أُتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذاك لأنَّ الفعل المستقبل يوضِّح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأنَّ السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي»[14]، وعملية استحضار الصورة الماضية هي أن ينتقل المتكلم إلى حدث ماضٍ فيحييه كأنَّما يعيشه في اللحظة الراهنة، وهذا أبلغ من أن يحكي الحدثَ بدلالته الزمنية المنقضية، وقد بيَّن ابن الأثير الفرق بين تخيُّل الصورة بالزمن الماضي وبين تخيلها بالمستقبل ونبَّه إلى وجه المفاضلة بينهما، فكلاهما يفيد المعنى المقصود، إلا أنَّ البلاغة متحققة في الإخبار بالمستقبل، فقال: «فإن قيل: إنَّ الفعل الماضي أيضا يتخيَّل منه السامعُ ما يتخيَّله من المستقبل، قلت في الجواب: إنَّ التخيُّل يقع في الفعلين معا لكنه في أحدهما –وهو المستقبل- أوكدُ وأشدُّ تخيُّلا؛ لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأنَّ السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه»[15]، ولا يمكن التعبير عن حدث منقضٍ بصيغة المضارع إلا إذا اقتضى المقام ذلك، ودلَّت القرائن اللفظية والمعنوية على هذا العدول، وإلا كان ذلك خرقا وخروجا عن الفصاحة والبلاغة.

وثمة لفتة بلاغية أخرى تفسِّر دلالة صيغة المضارع على الزمن الماضي، وهي التعجب من شيء بالغ الإغراب، « فالمتكلم يقدِّر نفسه حاضرا فيما مضى، فيعبِّرَ عن ذلك المعنى بصيغة الحضور وهي صيغة المضارع؛ لأنها تدلُّ في الأصل على أنَّ المعنى موجود حالَ التكلم، وإنَّما يعتبر ذلك إذا كان ذلك المعنى فيه غرابة وإعجابٌ فيقصد إلى إحضاره ليتعجَّب منه بما يمكن وهو الصيغة»[16].

وأمثلة عدول صيغة المضارع إلى الزمن الماضي كثيرة في القرآن الكريم، خصوصا عندما يتحدث المولى عزَّ وجلّ عن أخبار أنبيائه مع أقوامهم، والآيات الكونية وغيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ويصنعُ الفُلكَ وكلَّما مرَّ عليه ملأٌ من قومه سخِروا منه. قال إنْ تسخروا مِنَّا فإنَّا نسخرُ منكم كما تسْخرون﴾ [سورة هود: 37]، فمقتضى الظاهر أن يقال: "وصنع الفلك" بصيغة الماضي، لكنه عدل عن الظاهر إلى صيغة المستقبل استحضارا للصورة الماضية[17]، وذلك لأنَّه استحضر حادثة لم يُعهد مثلُها في ذلك الزمان، فأولئك القوم هم أول الناس عهدا بمثل هذا الصنع.

2.2 . 2. العدول عن المضارع إلى الماضي (الإخبار بالماضي عن المضارع) :

وهذه الحالة عكس الحالة الأولى، وتعني الإخبار عن صورة لم تقع بعدُ بصيغة الماضي؛ حيث يعدل المتكلم عن التعبير بصيغة المضارع إلى التعبير بصيغة الماضي، و«الغرض منه الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد»[18]، فالمستقبل يحتمل أمورا غيبية بخلاف الماضي الذي يحكي أمورا قطعية، ولذلك فإنَّ الإخبار عن الأمور الغيبية بصيغة الماضي تأكيدٌ على حتمية وقوعها.

ويحفل النصُّ القرآني بهذا اللون من العدول خصوصا في معرض الحديث عن الغيبيات كأحداث يوم القيامة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوه﴾ [النحل:1]، فالفعل "أتى" بمعنى "يأتي"، حيث عدل عن صيغة المستقبل "يأتي" واستعار لها صيغة الماضي للدلالة على أنَّ الأمر الموعود بالتحقق بمنزلة الآتي المتحقق؛ لأنه واجب الوقوع[19].

2.2 . 3. العدول عن الأمر إلى المضارع (التعبير بالمضارع عن الأمر):

تشترك صيغتا المضارع والأمر في الدلالة على المستقبل، غير أنَّ دلالة الأمر على الاستقبال وضعية ودلالة المضارع على الاستقبال تتحدد من خلال القرائن اللفظية والمعنوية، فالسياق هو الذي يحدد إن كانت صيغة المضارع دالة على الحال أو الاستقبال، أمَّا الفارق بينهما فيكمن في أنَّ المضارع خبر، والأمر طلب، والعدول عن الأمر إلى المضارع هو انحراف عن أسلوب إنشائي إلى أسلوب خبري، فبدلَ أن يخاطب المتكلم السامع بصيغة الأمر فإنه يعدل إلى صيغة المضارع، وقد ذكر البلاغيون أنَّ الغرض من

هذا العدول إنما هو لتعظيم وتفخيم شأن المخاطَب[20]، وقد يكون الغرض التلطُّف في الخطاب بأن يُحمَل المخاطَبُ على الفعل بألطف عبارة[21].

ومن أمثلة هذا النوع قول المولى عزَّ وجل: ﴿قُلْ للمؤمنين يغُضُّوا من أبصارهم ويحفظُوا فروجَهم﴾ [النور: 30]، والفعلان "يغضُّوا" و"يحفظوا" بصيغة المضارع يفيدان الدلالة على الأمر بغضِّ البصر وحفظ الفرج، والسياق اللغوي للآية يؤكد أنَّ العدول هنا جاء مراعاة لمقام المخاطبين، فهم المؤمنون بالله ولا يُتوقَّع منهم خلاف ما أُمِروا به، فعدل المولى عن الأمر الصريح رفعا لشأنهم وتلطفا معهم في الخطاب.

2.2 . 4. العدول عن المضارع إلى الأمر (التعبير بالأمر عن المضارع):

وهذه الحالة عكس التي قبلها، فإذا كان العدول عن الأمر تفخيما وتعظيما لشأن المخاطَب، فإن العدول عن الإخبار يكون بضدِّ ذلك[22]، أي تحقيرا لشأن المخاطب واستهانة به، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يا هودُ ما جِئتَنا ببيِّنةٍ وما نحنُ بِتاركِي آلهتِنا عَن قولِكَ وما نحنُ لَكَ بمؤمنين إنْ نقولُ إلا اعتراكَ بعضُ آلهتنا بسُوء قال إنِّي أُشهِدُ اللهَ واشهَدوا أنِّي بريءٌ ممَّا تشركون﴾ [هود:54]، فإنَّه «إنَّما قال " أُشهِدُ اللهَ واشهَدوا " ولم يقل "وأُشهِدكم"؛ لأنَّ إشهاده اللهَ على البراءة من الشرك صحيحٌ ثابت، وأمَّا إشهادُهم فما هو إلا تهاونٌ بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عُدل به عن لفظ الأول، لاختلاف ما بينهما»[23]، أي لاختلاف حال هود –عليه السلام- وهو الإيمان والتصديق، وحال قومه وهو الكفر والنكران والتكذيب.

2.2 . 5. العدول عن الماضي إلى الأمر (التعبير بالماضي عن الأمر):

يقع الماضي بمعنى الأمر في الدعاء خاصَّة لإظهار التفاؤل، فيؤتى بالفعل الماضي الذي يدل على وقوع الحدث للتعبير عن أمر يُرجى وقوعُه، كقولك: "وفَّقك الله للتقوى"، وقد يكون العدول عن الماضي لإظهار الحرص، فإنَّ الشخص إذا عظُمت رغبته في شيء تخيَّله حاصلا فعبَّر عنه بالماضي، كقولك: "رزقني اللهُ لقاءك"، وقد يكون التعبير بالماضي احترازا عن التلفظ بالأمر، ويكون ذلك في دعاء العبدِ ربَّه[24].

3. أشكال العدول في أزمنة الفعل عند الفراء:

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة 207 للهجرة، هو زعيم نحاة الكوفة، وعلمٌ من أعلام النحو البارزين في زمانه، ويشهد له كتابه "معاني القرآن" بتفوُّقه في

النحو واللغة ورواية الشعر والقراءات، والتفسير، والدراية بفنون وأساليب العرب في كلامها، ومن يتفحَّص كتاب معاني القرآن يجد أنَّه يعد تأسيسا للعديد من مباحث البيان كالمجاز والاستعارة والتشبيه والكناية، ومباحث علم المعاني كالحذف والتقديم والالتفات والعدول، والفصل والوصل وغير ذلك، فقد عالج الفراء العديد من النصوص القرآنية معالجة نحوية بلاغية أسلوبية، ويحق لنا أن نقول إنَّه قد فتق علمي البيان والمعاني، وتفطَّن في مواضع كثيرة إلى دور القرائن المعنوية واللفظية في تحديد الدلالة الزمنية للأفعال، وأشكال العدول التي تحدث عنها الفراء هي:

1.3 التعبير بالمضارع عن الماضي:

يُكثر الفراء من الحديث عن عدول الفعل المضارع عن دلالة الاستقبال، غير أنَّه يكتفي أحيانا بتحديد الدلالة الزمنية المعدولِ إليها دون الوقوف عند السر البلاغي لذلك العدول، ونجده في مواضع أخرى يقف عند الفتة البلاغية الكامنة وراءه، ويعتمد في الغالب على القرائن المعنوية واللفظية، ومن أهمّ النصوص التي وقفنا عليها ما ذكره في تفسير قول المولى جلَّ وعلا : ﴿فَلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبلُ﴾ [البقرة:91] حيث قال: «يقول القائل: إنَّما "تقتلون" للمستقبل فكيف قال: "من قبل" ؟ ونحن لا نجيز في الكلام "أنا أضربك أمسِ"، وذلك جائز إذا أردت بتفعلون الماضي، ألا ترى أنَّك تعنِّف الرجل بما سلَفَ من فعله، فتقول: "ويحك لمَ تكذب!" لمَ تبغِّض نفسك إلى الناس!، ومثله قول الله : ﴿واتبَّعوا ما تتلُو الشياطينُ على مُلكِ سليمان﴾ ولم يقل: ما تلَت الشياطين، وذلك عربيٌّ كثير في الكلام، أنشدني بعض العرب:

إذا ما انتسبْنا لم تلدني لئيمةٌ *** ولم تجِدي مِن أنْ تُقرِّي بها بُدَّا

فالجزاء للمستقبل والولادة كلها قد مضت؛ وذلك أنَّ المعنى معروف، ومثله في الكلام: "إذا نظرت في سِيرِ عمر رحمه الله لم يسئ" والمعنى: لم تجده أساء، فلمَّا كان أمرُ عمر لا يُشكُّ في مُضِيّه لم يقع في الوهم أنَّه مستقبل، فلذلك صلحت "من قبل"»[25].

ويمكن الوقوف من خلال هذا النص على نقاط مهمة، وهي تفريق الفراء بين نمطين من اللغة: الأول ما سمَّاه سيبويه بالمحال[26]، والمتمثل في عبارة "أنا أضربك أمسِ"، فدلالة "أضرب" الاستقبال ودلالة "أمس" المضي، وهذا تناقض في الكلام، ومثله التناقض الظاهر في قوله تعالى: "تقتلون" و"من قبل"، غير أنَّ الفارق يكمن في قرينة

المعنى، فالأول محال ولا يجوز لأنه ينتمي إلى لغة التواصل العادية وليس فيه ما يزيل اللبس ويدل على الجواز، فكان ذلك خرقا للعملية الإبلاغية، بخلاف الثاني فإنَّه جائز لأنَّ قرينة المعنى سمحت بذلك، وذلك أنَّه قد استقرَّ في الأذهان أنَّ قتل الأنبياء من الأحداث الماضية، فجاز أن يعبَّر بالمضارع عن الماضي، وقد استعان الفراء بشواهد توضح ذلك وهو قول الشاعر: "إذا ما انتسبنا ولم تلدني" فالفعل المضارع "تلدني" دلَّ على المضي لأنَّ الولادة قبل الانتساب بداهة، ومثله قوله تعالى: ﴿واتبَّعوا ما تتلُو الشياطينُ على مُلكِ سليمان﴾ والمعنى: "تلت" وإنما عدل عن المضارع لأنَّ قد استقر في الذهن أنَّ ذلك من الأحداث المنقضية فجاز التعبير بالمضارع لوجود ما يزيل اللبس.

وخلاصة القول إنَّ الفراء يجيز العدول إذا دلَّ السياق على ذلك، فإن لم يدلَّ السياق لم يجز العدول كما في قولنا: "أنا أضربك أمسِ".

ومن أنماط العدول في المضارع ما يدخل في باب عطف المضارع على الماضي، قال الفراء: «وقوله : ﴿وزُلزِلوا حتى يقولُ الرسول﴾ [البقرة:214] ... لها وجهان في العربية: نصب ورفع، فأمَّا نصب "يقولَ" فلأنَّ الفعل الذي قبلها ممَّا يتطاول كالترداد، فإذا كان الفعل على ذلك نُصب بعده بحتى وهو في المعنى ماض، فإذا كان الفعل الذي قبل حتى لا يتطاول وهو ماضٍ رُفع الفعل بعد "حتى" إذا كان ماضيا.

فأمَّا الفعل الذي يتطاول وهو ماض فقولك: "جعل فلان يديم النظر حتى يعرفَك"؛ ألا ترى أنَّ إدامة النظر تطول، فإذا طال ما قبل "حتى" ذُهِب بما بعدها إلى النصب إذا كان ماضيا بتطاوله، قال وأنشدني بعض العرب وهو المفضَّل:

مطَوْتُ بهم حتى تكِلَّ غُزاتُهم *** وحتى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بأرسانِ

فنصب "تكلَّ" والفعل الذي أدَّاه قبل "حتى" ماض؛ لأنَّ المطْو بالإبل يتطاول حتى تكِلَّ عنه، ويدلُّك على أنَّه ماض أنَّك تقول: "مطوت بهم حتى كلَّت غُزاتهم"، فبِحسن "فعَل" مكان "يفعل" تعرف الماضي من المستقبل، ولا يحسن مكان المستقبل فعَل، ألا ترى أنَّك لا تقول: "أضربُ زيدا حتى أقَرَّ"، لأنك تريد حتى يكون ذلك منه»[27].

وفقا لما أقرَّه الفراء فإنَّ عدول صيغة المضارع إلى الزمن الماضي يكون بعد "حتى" ولكنَّ ذلك لا يتحقق إلا بوجود قرائن دالة عليه، وهي:

- أولا قرينة المعنى، والمتمثلة في دلالة الفعل الماضي الذي قبل "حتى" ويشترط فيه أن يكون ممَّا يتطاول في الزمن، فالفعل "زلزل" يدل على الامتداد والتكرار فذاك معنى التطاول فيه، وهو ليس كالماضي الذي ليس فيه امتدادٌ نحو: "خرج وذهب وأكل..." ووجود فعل ماض متطاول في الزمن يتيح إمكانية عدول المضارع بعد حتى إلى المُضي في الزمن، أمَّا إذا كان الماضي قبل "حتى" غير متطاول لم يجز العدول في صيغة المضارع.

- حركة النصب في الفعل المضارع هي حركة فارقة، فهي التي تدل على أنَّ معناه الماضي وإن كانت صيغته المضارعة.

- دليلُ العدول في صيغة المضارع هو إمكانية التبادل في الموضع؛ حيث يجوز أن نأتي بصيغة الماضي بعد "حتى" إذا كان ما قبلها متطاولا كقولنا: "مطوت بهم حتى كلَّت غُزاتهم" فدلَّ ذلك على أنَّ "تكلُّ" في قولنا: "مطوت بهم حتى تكِلُّ" بمعنى "كلَّت".

- والدليل الأخير على العدول هو عدم العكس، فلا يجوز أن نقول: "أضربُ زيدا حتى أقَرَّ"، لأنَّ "أضرب" لا يدل على المضي، فلا يصح أن يعطف عليه مضارع آخر إلا إذا دلَّ على الاستقبال مثله، ولا يكون ذلك إلا بالرفع.

وهذا التحليل الموسَّع تأكيد على حسنِ تمثُّل الفراء لظاهرة العدول، فقد بيَّن بدقة الحالات التي يحسن فيها العدول والتي لا يحسن فيها العدول، فهو لا يتحقق إلا إذا أعانت القرائن عليه.

ويستوقفنا نصٌ آخر للفراء فيه دلالة صريحة على العدول في الزمن، وفيه نجد الفراء بلاغيا بامتياز، حيث يقول: «قوله عزَّ وجل: ﴿رُبَما يوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر:2] يقال: كيف دخلت ربَّ على فعل لم يكن؛ لأنَّ مودة الذين كفروا إنَّما تكون في الآخرة؟ فيقال: إنَّ القرآن نزل وعدُه ووعيده وما كان فيه حقًّا فإنَّه عيان، فجرى الكلام فيما لم يكن منه كمجراه في الكائن، ألا ترى قوله عزَّ وجل: ﴿ولوْ تَرى إِذِ المجرمون ناكِسُو رؤوسِهم عند ربِّهم﴾ وقوله: ﴿ولو تَرى إذْ فَزِعوا..﴾ كأنَّه ماضٍ وهو مُنتظَر لصدقه في المعنى، وأنَّ القائل يقول إذا نهى أو أمر فعصاه المأمور: "أما والله لَربُّ ندامة لك تذكر قولي فيها" لعلمه أنَّه سيندم، ويقول: فقول الله عزَّ وجلَّ أصدق من قول المخلوقين»[28].

يعبّر الفراء عن العدول بلفظ الإجراء، وذلك في قوله "جرى الكلام فيما لم يكن كمجراه في الكائن"، فما لم يكن هو المستقبل والكائن هو الماضي الذي يحمل دلالة وقوع الشيء وتحقُّقِه، ثم بيَّن النكتة البلاغية لهذا العدول، وهي أنَّ خطاب المولى عزَّ وجلَّ الذي يتضمن الوعد والوعيد المتعلقان بيوم القيامة حقٌّ كأنَّه مشاهد بالعين المبصرة، فلذلك جاز إجراء المضارع مجرى الماضي، ثم التفت الفراء إلى قيمة معنوية أخرى، وهي أنَّ تكهُّن المرء بشيء قد يحصل مستقبلا جائزٌ لاعتقاد المرء حصول ذلك كقول القائل "لربما ندامة لك تذكر"، فكيف إذا وقع مثل هذا من المولى عزَّ وجلَّ وكلامه حقّ.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين كفَروا ويصُدُّون عن سبيل الله﴾ [الحج:25] «رُدَّ "يفعلون" على "فعلوا" لأنَّ معناهما كالواحد في الذي وغير الذي، ولو قيل: "إنَّ الذين كفروا وصدُّوا" لم يكن فيها ما يُسأل عنه، وردُّك "يفعلون" على "فعلوا" لأنَّك أردت "إنَّ الذين كفروا يصدون بكفرهم"... وإن شئتَ قلت الصدُّ منهم كالدائم فاختير لهم "يفعلون" ، كأنَّك قلت: إنَّ الذين كفروا ومن شأنهم الصدُّ"، ومثله: ﴿الذين آمَنوا وتطمئِنُ قلوبُهم﴾ ومثله في الأحزاب: ﴿الذين بلَّغوا رسالات الله ويخشونه﴾»[29].

بيَّن الفراء في هذه الآية عدول الفعل "يصدون" إلى الماضي، فيصدُّون بمعنى صدُّوا، وقد وقف على قيمتين بلاغيتين:

الأولى في قوله: " ولو قيل: "إنَّ الذين كفروا وصدُّوا" لم يكن فيها ما يُسأل عنه"، ويعني قوله هذا أنَّ عطف الماضي على الماضي جاء على الأصل فلا يسأل عن علته، وهذا أصل من أصول النحويين، وفيه تأكيد على أنَّ عطف المضارع على الماضي مخالف للأصل، والعدول في الحقيقة خروج عن أصل القاعدة لغرض بلاغي.

والقيمة البلاغية الثانية تكمن في تفسيره لسبب العدول في صيغة المضارع، ويستشفُّ ذلك من قوله: "وردُّك "يفعلون" على "فعلوا" لأنَّك أردت "إنَّ الذين كفروا يصدون بكفرهم"، فهو يبين أنَّ الأصل أن يقول: "إنَّ الذين كفروا وصدُّوا"، غير أنَّه عدل إلى المضارع لأنَّ الصدَّ ناتج عن كفرهم فهم يصدُّون بكفرهم، فالكفر ماض والصدُّ الناتج عن الكفر متجدِّدٌ ومستمر في الزمن لأنَّه مترتب على الكفر، وما ترتب على شيء فهو قابل للتجدد، وهذا التعليل المعنوي الذي نصَّ عليه الفراء دليل على تمثُّله البلاغي

لظاهرة العدول، ويتجلى هذا التفسير أكثر في قوله : "وإن شئت جعلت الصدَّ منهم كالدائم"، فالصدُّ الناتج عن الكفر دائمٌ مصاحبٌ لهم فعبَّر عنه بالمضارع، ومثله ﴿الذين آمَنوا وتطمئِنُ قلوبُهم﴾، فالإيمان ماض واطمئنان القلوب الناتج عنه دائم مستمر، وكذلك ديمومة الخشية في قوله : ﴿الذين بلَّغوا رسالات الله ويخشونه﴾.

وأحيانا يقف الفراء عند العدول دون أن يستخلص منه النكتة البلاغية، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿فلمَّا ذهب عن إبراهيمَ الرَّوْعُ وجاءتهُ البُشرى يجادُلُنا في قوم لوط ﴾ [هود:74] حيث قال: «ولم يقل: "جادلنا" ومثلُه في الكلام لا يأتي إلا بفعل ماضٍ، كقولك: "فلمَّا أتاني أتيته"، وقد يجوز "فلمَّا أتاني أثِبُ عليه"، كأنَّه قال: "أقبلت أثِبُ عليه"، وجدالُه إيَّاهم أنَّه حين ذهب عنه الخوف، قال: ما خطبكم أيها المرسلون»[30].

ويبدو أنَّ الفراء قد فسَّر هذا العدول تفسيرا نحويا، وذلك بتقدير فعل ماض محذوف ليستقيم الكلام، وتقدير الكلام: "فلما ذهب عن إبراهيم الخوف وجاءته البشرى قال ما خطبكم"، وذلك مثل تقدير الفعل في جملة: "فلما أتاني أثب عليه" أي: أقبلت أثب عليه.

2.3 التعبير بالماضي عن المستقبل:

ينبِّه الفراء في عدة مواضع إلى خروج صيغة الماضي إلى دلالة الاستقبال، وغالبا ما كان يربط ذلك العدول بالقرائن اللفظية المقتضية لدلالة الزمن.

وممَّا ذكره في باب عطف الماضي على المضارع قوله في تفسير الآية الكريمة: ﴿ويومَ يُنفَخُ في الصور ففزِعَ﴾ حيث بيَّن العدول في الفعل "فزع" فقال: «ولم يقل "فيفزع"، فجعل "فعل" مردودة على "يفعل" وذلك أنَّه في المعنى: "وإذا نُفِخ في الصور ففزع"، ألا ترى أنَّ قولك: "أقوم يوم تقوم" كقولك: "أقوم إذا تقوم" فأجيبت بفعَل لأنَّ فعل ويفعل تصلحان مع إذا»[31].

استدلَّ الفراء على عدول الفعل الماضي "فزع" بالقرينة اللفظية وهي ظرف الزمان "يوم" الذي يتضمن دلالة الاستقبال لأنه في معنى إذا، فدلَّ ذلك على أنَّ "فزع" بمعنى "يفزع"، وإنما عدل عنه لدلالة السياق.

وكذلك فسَّر العدول الزمني باعتماد القرائن اللفظية والمعنوية في قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانِهم إذا ضربوا في الأرض﴾

[آل عمران: 156] بقوله: «كان ينبغي في العربية أن يقال: "وقالوا لإخوانهم إذْ ضربوا في الأرض"؛ لأنه ماضٍ، كما تقول: "ضربتك إذْ قمت" ولا تقول: "ضربتك إذا قمت"، وذلك جائز ، والذي في كتاب الله عربيٌّ حسن؛ لأنَّ القول وإن كان ماضيا في اللفظ، فهو في معنى الاستقبال؛ لأنَّ "الذين" يُذهَب بها إلى معنى الجزاء مِن ومَن وما، فأنت تقول للرجل: "أحبِب من أحبَّك" و"أحبب كلَّ رجل أحبَّك"، فيكون الفعل ماضيا وهو يصلح للمستقبل؛ إذ كان أصحابه غير مُوَقَّتين، فلو وقَّته لم يجز، من ذلك أن تقول: "لأضربنَّ هذا الذي ضربك إذْ سلمتُ عليك" لأنَّك قد وقَّته فسقط عنه مذهب الجزاء، وتقول: "لا تضرب إلا الذي ضربك إذا سلمتَ عليه" ... وكذلك قوله: ﴿إلا الذين تابُوا من قبل أن تقدِروا عليهم﴾ المعنى: إلا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم، وكذلك قوله: ﴿إلا مَنْ تابَ وآمَنَ وعمِل صالحًا﴾ معناه: إلا من يتوب ويعمل صالحا، وقال الشاعر:

فإنّي لآتيكُمْ تشكُّرَ ما مضى *** من الأمرِ واستيجاب ما كان في غدِ

يريد به المستقبل، لذلك قال: "كان في غد" ولو كان ماضيا لقال: "ما كان في أمسِ"، ولم يجز ما كان في غد.

وأمَّا قول الكُميت:

ما ذاقَ بُوسَ معيشةٍ ونعيمَها *** فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشق. فمن ذلك»[32]

وقد أفاض الفراء وأسهب في هذا الشرح والتعليل حتى لم يدع لقائل بعده أن يزيد عليه، ويبدو شرحه المستوفي لعدول الماضي تأكيدا آخر على أنَّه يدرك تماما الفرق بين الدلالة الزمنية الوضعية والدلالة السياقية، ويدرك تماما القرائن المعينة على تحديد الزمن السياقي، فقد بيَّن أنَّ الأصل أن يقال "إذْ ضربوا"؛ لأن الحدث ماضٍ و"إذْ" ظرف لما مضى من الزمان، ولكن الاسم الموصول "الذين" أتاح استخدام ظرف مستقبل وهو "إذا" لأن الذين تصلح للجزاء والجزاء يكون في المستقبل، ولم يتوقف عند هذا الحد بل بيَّن أنَّ ثمة قرينة أخرى وهي الزمن غير المحدَّد بتوقيت معين وهو ما سمَّاه غير الموقَّت، وذلك كقولك: "أحببْ من أحبَّك"، فإنَّ "أحبَّك" وإن كان ماضيا فإن لا يخضع

لمعيار زمني وغير مرتبط بميقات مضبوط، فمعنى "من أحبك" أي من أحبَّك في أي وقت من الأوقات، وهذا الحب قابل للاستمرار، ثم أضاف أنَّه إذا ضُبِط التوقيت كقولك: "لأضربَنَّ هذا الذي ضربك إذْ سلمت عليه" لم يجز إلا الزمن الماضي ولا يصح اقتران الفعل إلا بالظرف الماضي "إذْ"، ثم استشهد الفراء ببيتين من الشعر يوضِّح فيها عدول الفعل الماضي إلى المستقبل لدلالة المعنى عليه، ليثبت أنَّه رجل نحو وبلاغة بامتياز.

وينبِّه الفراء لنمط آخر من العدول يكمن في تضمُّن الحرف معنى حرف آخر وتأثير ذلك على عدول الزمن في الفعل، إذ يقول: «وقوله: ﴿ولَئِنْ أتيتَ الذينَ أُوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تَبِعوا قِبلَتَكَ﴾ أجيبت "لئن" بما يُجاب به "لو" ، و"لو" في المعنى ماضية، و"لئن" مستقبلة، ولكنَّ الفعل ظهر فيهما بفعَل فأجيبتا بجواب واحد، وشُبِّهت كلُّ واحدة بصاحبتها، والجواب في الكلام في "لئن" بالمستقبل مثل قولك: "لئن قمت لأقومنَّ" و"لئن أحسنتَ لتُكرمَنَّ" و"لئن أسأتَ لا يُحسَن إليك"، وتجيب لو بالماضي فتقول: "لو قمتَ لقمتُ" ولا تقول: "لو قمتَ لأقومَنَّ"، فهذا الذي عليه يُعمل، فإذا أجيبت "لو" بجواب "لئن" فالذي قلت لك من لفظ فعليهما بالمضي، ألا ترى أنَّك تقول: "لو قمت" و"لئن قمت"، ولا تكاد ترى "تفعل" تأتي بعدهما، وهي جائزة، فلذلك قال: ﴿ولئن أرسلنا ريحًا فرأوهُ مُصفَرًّا لظَلُّوا﴾ فأجاب "لئن" بجواب "لو"»[33].

يتمثل العدول في مجيء جواب "إن" ماضيا وهي حرف شرط وُضع للاستقبال، والأصل أن يكون الجواب فعلا مضارعا، والقرينة التي أجازت العدول هي مجيء الشرط ماضيا، فإننا نقول "إن فعلت ولو فعلت"، فهذا الذي عوَّل عليه الفراء في تفسير مجيء الجزاء ماضيا والأصل فيه الاستقبال.

3.3 التعبير بالمضارع عن الأمر:

لم يغفل الفراء عن خروج المضارع إلى دلالة الأمر، ولكنه وقف على المعنى الضمني ولم يقف على النكتة البلاغية وراء ذلك العدول، وقد ذكر ذلك في موضعين اثنين:

قال في تفسير الآية الكريمة: ﴿قلْ لعبادي الذين آمنُوا يُقيمُوا الصلاة﴾ [إبراهيم: 31]: «جُزمت "يقيموا" بتأويل الجزاء، ومعناه –والله أعلم- معنى الأمر؛ كقولك: "قل لعبد الله يذهبْ عنَّا" تريد: اذهبْ عنَّا، فجزم بنية الجزاء وتأويله الأمر، ولم يُجزم على الحكاية»[34].

ويقصد بالحكاية الإخبار، بمعنى أنَّ دلالة الفعل هي الأمر وليس الإخبار، وقال في موضع آخر: «وقوله: ﴿قلْ للذين آمَنُوا يغفروا﴾ معناه في الأصل حكاية بمنزلة الأمر، كقولك: "قل للذين آمنوا اغفروا"»[35].

وعلى الرغم من أنَّه لم يقف عند القيمة البلاغية للانتقال من الإخبار إلى الأمر، إلا أنَّه تنبَّه للعدول الحاصل في صيغة المضارع، وهذا الذي يعنينا وهو أنَّه لم ينطلق من الصيغة ليحدِّد الزمن بل انطلق من المعنى.

4.خاتمة:

ونخلص في ختام بحثنا إلى النقاط التالية:

√ لم يكن النحاة القدامى غافلين عن حقيقة أنَّ الزمن في العربية يتخطَّى حدود الصيغة الصرفية، ولكنَّ اهتمامهم الأول كان دراسة اللغة في بعدها القاعدي، وليس أبعادها البلاغية، ولهذا لم يقفوا على حدود الظاهرة ويتتبعوا أسرارها وجمالياتها كما فعل البلاغيون، غير أنَّنا نجد في تراثنا النحوي إشارات كثيرة عن ظاهرة العدول في الأزمنة، ولم يتسِّع المقام لسرد نماذج كثيرة عن تمثُّلات النحويين للظاهرة العدول، ومجال البحث مفتوح في دراسات أخرى إن شاء الله ذلك.

√ الفراء وإن كان رجل نحو ولغة، إلا أنَّه قدم الكثير للبلاغة العربية، وأثرى الكثير من مباحثها، وبالنظر إلى كتاب معاني القرآن يمكننا القول بارتياح إنَّه ليس مجرد تفسير لغوي نحوي بل هو تفسير بلاغي، فأثناء تنقيبنا عن نصوص تخدم بحثنا وقفنا على الكثير من الظواهر البلاغية والأسلوبية التي تنُمُّ عن نظرة بلاغية ثاقبة يتمتع بها الفراء.

√ تنبَّه الفراء لمعظم أشكال العدول في صيغ الأفعال، ومن خلال تعليله للعدول وجدناه في بعض الأحيان ينطلق من نظرة نحوية ولا يستخلص القيمة البلاغية للعدول، إلا أنَّ هذا المنهج ليس عاما، فالنصوص التي انتقيناها تؤكد حسَّه البلاغي ودقة إدراكه وفهمه لأسلوب العدول باعتبار أسلوبا بلاغيا راقيا، وهذا يدحض مقولة من يزعم أنَّ النحويين لم يفرِّقوا بين الزمن الصرفي والزمن السياقي.

5. الهوامش:

1- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، دون طبعة، بيروت، مادة (عدل)، ج11، ص434.

2- ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم –دراسة نظرية تطبيقية. التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، دون طبعة، بيروت، 1429ه/2008م، ص141.

3- ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ص 100-101.

4- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، دون طبعة، بيروت، ج2، ص 72.

5- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، دون طبعة، مصر، 1358ه/1939م، ج2، ص14.

6- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ج1، ص12.

7- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ص 58.

8- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دون طبعة، الدار البيضاء (المغرب)، 1994م، ص 242-243.

9- كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، عالم الثقافة، دون طبعة، عمان الأردن، 1428ه/2008م، ص 33.

10- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 1406ه/1986م، ص 147.

11- سيبويه، الكتاب، 24/3.

12- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، دون معلومات، ج3، ص332

13- هبة الله بن علي بن الشجري، أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1413ه/1992م،ج1، ص68.

14- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص14.

15- المرجع نفسه، ج2، ص 16-17.

16- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت، ج3، ص135.

17- ينظر: مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي (المعروف بابن التمجيد)، حاشية ابن التمجيد على تفسير الإمام البيضاوي، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1422ه/2001م، ج10، ص76.

18- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص18.

19- شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب المسمَّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، دون طبعة، بيروت، ج5، 309.

20- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص13.

21- ينظر: سعد الدين مسعود التافازتاني، المطول شرح تلخيص المفتاح، تركيا، 1310ه، ص246.

22- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص13.

23- المرجع نفسه، ج2، ص14.

24- ينظر: سعد الدين مسعود التافازتاني، المطول شرح تلخيص المفتاح، ص 246.

25- أبو زكريا بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، دون معلومات، ج1، ص 60-61.

26- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص 25.

27- الفراء، معاني القرآن، ج1، ص132-133.

28- المرجع نفسه، ج1، ص82.

29- المرجع نفسه، ج2، ص 220-221.

30- المرجع نفسه، ج2، 23.

31- المرجع نفسه، ج2، ص300-301.

32- المرجع نفسه، ج1، ص 243-244.

33- المرجع نفسه، ج1، ص84.

34- المرجع نفسه، ج2، ص77.

35- المرجع نفسه، ج3، ص45.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊